

## موقف ادموند هوسرل من أزمة العلوم الأوروبية

## Edmund Husserl's position on the European science crisis

أسماء مصباح

جامعة أبو القاسم سعدالله (الجزائر2)، asma.mesbaiah@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2021/07/31

تاريخ القبول: 2022/04/22

تاريخ الاستلام: 2021/10/24

## ملخص:

لقد خَلَفَ التطور العلمي الكثير من الأزمات التي أثرت على كافة مناحي حياة البشرية، ما دفع بالعديد من الفلاسفة لمحاولة تحليلها، ومن أبرز الجهود المعاصرة في ذلك، مقارنة ادموند هوسرل في تحليل أزمة العلوم الأوروبية و آثارها و كيفية تجاوزها، أين أكد أنها تسببت في عيش الإنسان لأزمات ضياع المعنى والاعتراب، وينبغي التعامل مع هذه الظواهر بطريقة مختلفة، دون الابتعاد عن التأمل الترنسندنطالي، بل بإعطاء مكانة هامة ومميزة للأسئلة التي تهتم بصلب الانسان و تعيد الاعتبار لذاتيته الخالصة، والحل في ذلك يكمن في تحقيق غاية الفلسفة في أن تكون علما صارما عن طريق المنهج الفينومينولوجي لحل أزمة العلوم الأوروبية .

الكلمات المفتاحية: العلوم ، أزمة ، فينومينولوجيا ، سؤال المعنى ، الذات

## Abstract :

The development of science in Europe has been responsible for many crises which affected all aspects of life, a fact that led many philosophers to analyze them. Among these philosophers we find E. Husserl who took it as his task to critically analyze what he calls "the crisis of the European sciences" showing its issuing effects on man's alienation and his loss of meaning. He attempts to do this by appealing to the transcendental method that does not lose sight of the questions concerning man and his subjectivity; and to achieve such a goal philosophy needs, according to him, to become a rigorous science..

**key-words:** science, crisis, the question of meaning, the subject

## 1. مقدمة

تشترك جميع تفرعات الدراسات الفلسفية في نقطة مشتركة تتمثل في الغاية الكلية التي تصبو إليها، فمنذ بدايات الفلسفة وهي تسعى لتكون علما دقيقا، لتهيمن على غيرها من العلوم، ولقد استمر هذا المشروع بين القوة والضعف لينهض من جديد أين اشتد التركيز على هذا المطلب أكثر مع الفلسفة الحديثة، وذلك نظرا للتطور الفكري في الميدان العلمي، وما خلفه من أزمت تمس حياة البشرية الأوروبية، لأنه بالرغم من الايجابيات التي قدمها التطور العلمي للإنسان، إلا أنه أضع هويته وذاته أمام تقدم العلوم ومناهجها، فخلقت التقنية بذلك مشكلا عويصا للإنسان ليس بمقدور العلم حله، وهو ما جعل الفلسفة المنقذ الوحيد لحل هذه الأزمة التي عايشتها أوروبا .

بالرغم من أن الحديث عن الأزمة التي اجتاحت المجتمعات الأوروبية ومخاطرها ، قد بدأ منذ الفترة الحديثة، إلا أنه لم يحقق نجاحا ولم يصل إلى نتائج واضحة على أرض الواقع، والدليل على ذلك استمرار المشاكل الأوروبية الواحدة تلو الأخرى وتأزمها أكثر مع الفترة المعاصرة ، مما استدعى الحديث عنها وتحليلها مرة أخرى بروح العصر ، ولقد كان الفضل في ذلك لإدموند هوسرل ( 1859-1938 ) كونه أول فيلسوف معاصر يسلط الضوء على الأزمة التي تعيشها البشرية الأوروبية في عصره ويتناولها بالتحليل و التفصيل ، بغية الوصول إلى نتائج جذرية تخلص أوروبا من مخلفات التطور العلمي، و تعيد للإنسان قيمته التي ضاعت أمام التطور التقني، بعيدا عن التفكير العلمي العقلاني وفتح الأفاق أمام تفكير فلسفي أصيل، من شأنه تحقيق مكانة الإنسان الفعلية من جهة، ورفاهيته من جهة أخرى، ما يضمن من جديد الغاية الكلية للفلسفة في أن تكون علما صارما يحفظ جميع أبعاد الإنسان .

**فما موقف ادموند هوسرل من طبيعة أزمة العلوم الأوروبية؟ وكيف جعل من المنهج الفينومينولوجي الفلسفي حلالها ؟**

ولالإجابة عن هذا الإشكال اتبعنا المنهج التحليلي المقارن للتعرف على أهم مستجدات معالجة الأزمة ومحاولة تفكيكها لدى هوسرل، وذلك بإتباع خطة منهجية تمر بثلاثة مراحل أساسية هي :

### محطات أساسية في فكر هوسرل و وعيه بأزمة العلوم الأوروبية:

نعرض من خلالها أهم المحطات الفكرية لهوسرل والاتجاهات التي أثرت عليه دراسيا.

## -أزمة العلوم الأوروبية في تحليلات ادموند هوسرل:

نعرض من خلالها أهم تجليات الأزمة في العلوم الطبيعية والإنسانية، وكيف حلل هوسرل كلا منها.

## -المنهج الفينومينولوجي كحل لأزمة العلوم الأوروبية:

نبيين في هذه المرحلة كيف اهتدى هوسرل لتأسيس الفينومينولوجيا لتحرير الإنسان من هذه الأزمة.

## 2. محطات أساسية في فكر هوسرل ووعيه بأزمة العلوم الأوروبية

ولد ادموند جوستاف ألبرخت هوسرل ولد في 08 أبريل 1859م في روسنيتس " في اقليم "مورافيا"،. بعد إنهاء تعليمه الثانوي في الثانوية الحكومية الألمانية في هولمتز، تابع تعليمه الجامعي بجامعة لايبزنج (ليبنج) من 1876 إلى 1877م، نظرا لتفوقه في الرياضيات والعلوم الطبيعية، التحق في أبريل 1878م بجامعة برلين ليتخصص في الرياضيات (بونفقة، 2011، ص37).

بدأ "هوسرل" حياته الفكرية بدراسة الحساب و الرياضيات بعد تخرجه من الجامعة مباشرة و أثناء تحضيره لرسالة الدكتوراه، وهذه البداية حددت بعد ذلك التطور التاريخي لجهد "هوسرل" ذاته فقد اعترف بمدى تأثير تلك المرحلة الرياضية الأولى على تكوين الفينومينولوجيا.

كانت لدراسة هوسرل المبكرة للرياضيات تأثيرها الواضح في تكوين آرائه الأولى في علم النفس والمنطق ونظرية المعرفة، والتي تراجع عن بعضها في المراحل التالية، وقد بدأ هوسرل دراسته للحساب من وجهة نظر نفسية خالصة فرفض فيها أي تفسير عقلي أو منطقي لمفاهيم الكثرة و الكلية و التفرد و غيرها مما يهتم به علم الحساب، و أراد أن يختبر الأسس الفلسفية للرياضيات من زاوية علم النفس، الذي كان مختلطا بالفلسفة في أوائل عصره.

تأثر هوسرل بالعديد من الأساتذة في المجال النفسي خاصة برنتانو والذي يظهر بوضوح في رسالة الدكتوراه و التي بناء عليها وضع كتابه الأول عن "فلسفة الحساب"، الذي جعل عنوانه الفرعي "أبحاث نفسية و منطقية" ركز فيه على الدراسة "الابستمولوجية" للحساب قبل ان يعرض عنها فيما بعد.

في المرحلة الثانية من فكره، تحول هوسرل تدريجيا إلى دراسة المنطق الذي يمثل المرحلة الثانية من مراحل تطوره الفكري والذي ولىح منه إلى " الفينومينولوجيا" و قد كانت مقدمات نقلة "هوسرل" إلى المنطق واضحة في القسم الثاني من "فلسفة الحساب" الذي اهتم فيه بالمعاني

الرمزية و الوحدة والعدد موضحا كيف أنها تخدم الحساب فعلا، بينما اهتم في القسم الأول بالأسس النفسية وتحليل تلك المفاهيم الحسابية . و في دراسته الرمزية الثانية لم يكتف بالتحليلات النفسية فقط، بل بدأ يزيد عليها اهتمامات منطقية تتصل بطبيعة الرمز و علاقته بالحقيقة الخارجية، و غيرها من الاهتمامات المنطقية الأخرى التي لم يتعرض لها في القسم الأول من الكتاب ، لكن مقدماتها بدأت تظهر في القسم الثاني ، ثم تبلورت بعد ذلك في المؤلفات المنطقية الخالصة، و خاصة في الأبحاث المنطقية.

في آخر مرحلة فكرية لدى هوسرل قام بالتركيز على دراسة علم النفس القصدي وتأسيس الفينومينولوجيا المتعالية، أين قام بنقد مجموعة من المذاهب التي كانت سائدة آنذاك بداية من المذهب الطبيعي، و يري هوسرل أن كل المذاهب الأخرى ما هي إلا تفرعات عن المذهب الموضوعي و المذهب التاريخي ، فانتقد بذلك النفسانية في عدة نقاط خاصة لأنها تأخذ صورة تجريبية و تدور حول الأنا الفردي و كانت تلك هي مقدمات اهتمام هوسرل للمعرفة الكلية النفسية الثابتة وهي أعلى و أدق من الوقائع الجزئية التجريبية المتغيرة، الأمر الذي يتنافى مع تصور هوسرل للعلم الكلي ما دفعه إلى رفض ان تكون الفينومينولوجيا علم النفس وصفي بالمعنى التجريبي بل أرادها علم نفس ماهوي و اضطره هذا الوضع أيضا إلى العدول عن التمييز بين الشيء في ذاته و ظواهره المدركة إذ أن الشيء في ذاته يعني عدم إمكانية قيام علم صحيح أو معرفة يقينية شاملة كما أراد هوسرل فنقده في النهاية هو نقد لعلم النفس ذاته فإصلاح الروح كما يرى هوسرل مرتبط بإصلاح علم النفس حتى يصبح بحق علما للأنا النفسانية، والنتيجة التي توصل إليها في ذلك أن دراسة القصدي مساوية لدراسة الأنا الروحية أو الوعي الذي يمكننا اعتباره الأساس المطلق للعلم وسيظل الإنسان الأوربي عاجزا عن مواجهة الأزمة ما لم يستطع خلق نفسه من جديد في ظل الفلسفة العلمية.

### 3. أزمة العلوم الأوروبية في تحليلات ادموند هوسرل

" مفهوم الأزمة " بقراءة ابستيمولوجية يحيل إلى الإحراج و المشكلات التي يتعرض لها العلم في مسيرة تطوره، و في كثير من الأحوال يتم إرجاع الأزمة إلى أسباب الغموض القائم و التعارض ما بين مبادئ العلم، منطلقاته و مناهجه، هذا دون التشكيك مطلقا في صرامة العلوم ومصداقيتها ودقتها لما لها من نتائج فعالة في مختلف المجالات

يمكن تلخيص أزمة العلوم الأوروبية في نظر هوسرل على أنها أزمة أسس بامتياز ، و نجد أن أهم انعكاس لهذه الأزمة من وجهة نظره قد طال المحاور الكبرى للفكر الأوروبي آنذاك من علوم وضعية، علوم إنسانية، وحتى تطور الفلسفة حينها بموجب أنه ما يؤول على الفلسفة تؤول إليه العلوم كلها كون أن الفلسفة هي المعنى الشامل للإنسان الذي تسعى العلوم الجزئية لخدمته ، وفي ما يلي نركز على أهم تجلياتها في هذه الفروع :

### 1.3 أزمة العلوم الوضعية : يرجع هوسرل أساس الأزمة في هذه العلوم إلى تبنيها المنهج

التجريبي، الذي يعتمد في صياغة نتائجه على لغة الرياضيات نظرا لصرامتها و دقتها، ما يجعلها تسقط ضحية النزعة الموضوعية للعلم الذي يبرر إقصاءه كل ما هو ذاتي وإنساني وقيمي بدعوى أنه يحترم المقاييس العلمية و الموضوعية فقط ، فالنزعة الموضوعانية كما يسميها هوسرل هي التي أقعدت العلم معناه حين اختزلته إلى وقائع ما أدى إلى اهمال الذات مع أنها الأساس الأهم ، فشوهت بذلك مفهوم الطبيعة و خلقت الفجوة بين الذات والموضوع.

إن عملية اللامبالاة التي يمارسها العلم بصدد آفاق عالم المعيش، تؤدي بالبحث العلمي إلى إعلان استقالته بصدد مهمته و مسؤولياته اتجاه الإنسان، إذ يؤول إلى عملية لانهائية ، متمثلة في مختلف الإجراءات التقنية و المنهجية للسيطرة على عالم الرياضة اللانهائي بمختلف قطاعاته، وبالتالي يكتفي العالم بدور متابعة قطاع واحد من العالم أو مجال جزئي فقط ، وهذا بتجاهله التساؤل حول هذا البحث الذي يمارسه بآفاق الحياة اليومية و عن غاياته .

إن الموقف النقدي الذي يتبناه هوسرل ضد هذه العلوم لا يعارض انهياره بها واعترافه بما قدمته للحياة البشرية من مكاسب ، إلا أنه وسيلة للتعبير عن أسفه عما خلفته هذه العلوم من تنامي عالم المعيش الأساس الأول لها ، ويذهب في هذا السياق إلى أن هذه العلوم الحديثة تعجز عن تقديم تفسيرات أخيرة تعود بالأشياء إلى أولى أساساتها ، لان ذلك يتطلب الرجوع إلى عالم العيش و آفاقه الذاتية – النسبية ، أي الأساس المنسي لهذه العلوم ، وهو ما يظهر جليا في :

#### 1.1.3 أزمة العلوم الطبيعية : أين أكد هوسرل في عدة محطات الفرق بين عالم الأشكال

الهندسية و عالم الأشكال المحسوسة وأنهما يختلفان عن بعضهما أين لا يمكننا معاملتهما بنفس الطريقة وهو ما أشار إليه في كتاب الأفكار ، وبالضبط في الفقرة 74 ، الموجبة للتكلم عن العلاقات الكامنة بين

الهندسة والعلم الوصفي في كون الأولى مثالية لا يمكن التعامل معها بواسطة الحدس الحسي بل هي مفاهيم "مثالية" عن شيء ما لا يمكن أن نراه (Husserl, 1950, p.235-236). والتي حاولت دراسة مواضيعها وفقا للمنهج الرياضي كما دعى إليه غاليلي نظرا لتأثره بالهندسة التقنية لاعتقاده بأن تطبيق منهجها سيسمح له بإنشاء معرفة موضوعية بالطبيعة (Husserl, 1962, p185)، وهو ما انتقده هوسرل بشدة فكيف للهندسة التي تدرس المكان أن تدرس الأجسام الطبيعية؟ إن الهندسة هنا لا تعني بالأجسام الطبيعية في وجودها العيني بل المجرد فقط، أو ما يسمى بالامتداد الزماني الذي استطاعت تحديده بدقة متناهية و بصورة موضوعية، مع العلم بأن الامتداد المكاني ليس سوى لحظة مجردة للأجسام أو صورة لمادة، إن هذا الشكل المكاني يتمتع بخصائص حسية لا تدرسها الهندسة وإنما تبقى نسبية ومتغيرة تعتبر التجربة اليومية مصدرا له، وتخلى غاليلي عنه، ولكنه لم يتخل عن مسعى تأسيس علم صارم بالطبيعة مبني على حكم مسبق، إذ يفترض مسبقا المنهج الذي تستعمله المعرفة الصارمة في تحديد الكيفية الحسية التي يعبر عنها التطبيق الغير المباشر الذي ينطلق من وجود علاقة بين التغيرات اللاحقة بجانب الامتداد المكاني والتي تلحق بالخصائص الحسية.

ومعنى ذلك أن العالم العلمي كما تعبر عنه القوانين والنظريات والعلاقات الرياضية من حيث امتيازه بالدقة والموضوعية، هو العالم الحقيقي، مع العلم بأنه مجرد صروح نظرية رياضية عملت على الممارسة النظرية العلمية على إنتاجه، وهنا أصل الأزمة، ومن ثمة تنتج بداهة ميتة مفادها أن الكيفيات المدركة هي محض أوهام ذاتية (Ricœur, 1986, p43) وأن الواقع الحقيقي ذو طابع رياضي، بينما تم اعتبار عالم المعيش اليومي كونه مجرد تعبيرات تقريبية ذاتية ونسبية، خطرا على الحقيقة العلمية أو العالم الحقيقي، عالم النظريات العلمية والصياغات النظرية، ومن هنا نشأت فكرة النزعة الموضوعية الحديثة المسؤولة عن أزمة المعنى والتوجه في العالم الراهن.

### 2.1.3 أزمة الرياضيات والمنطق: يؤكد هوسرل على أن الأساس النفساني

الذي تقوم عليه الرياضيات والمنطق هو أصل الأزمة التي تتعرض لها هذه العلوم، وهذا ما جعله يتراجع عن آرائه في كون الفعل النفسي هو الأساس الحقيقي للرياضيات عندما تطورت عقليته وتبلور تفكيره، ليؤكد أن المكان الهندسي بالنسبة لنا يحتوي في ذاته قبلية شاملة ووحدة نظرية منسقة، مغلقة على ذاتها رغم لا تناهيا تسمح لنا بما نعتمد عليه من مفاهيم وقضايا أكسيوماتية أن نركب في استنتاجات كل شيء متعلق بالمكان أو يمكننا تخيله فيه،

وعليه فإن تفكيرنا القطعي لا "يكتشف" لنا إلا ما هو محدد مسبقا بصورة قبلية في ذاته ، بمعنى أن القوانين الرياضية هنا لا تعطي إلا ما هو موجود حقا مسبقا و قبليا (هوسرل. 2008، ص 646).

تمثل الدراسة المنطقية الخطوة الثانية في طريق تأسيس " الفينومينولوجيا" التي بدأت معالمها الأولية تظهر في هذه المرحلة المنطقية بالذات. ولذلك وجدنا بعض مؤرخي " هوسرل" مثل " بارل ويلش"، يطلق على هذه المرحلة المنطقية بحق اسم "شبه الفينومينولوجيا" (رافع، 2007، ص 72) ، أين حاول هوسرل تجاوز المنطق النفسي إلى الفينومينولوجيا من خلال رفع المنطق المادي إلى عالم الشعور ، و تحويل مضمونه النفسي إلى تجربة حية في الشعور وهذا ما حاول توضيحه من خلال النقد الذي وجهه للاتجاه النفسي في المنطق في الجزء الأول " مقدمات في المنطق الخالص" من كتابه " أبحاث منطقية ،" مبينا أن نقص العلوم الجزئية يرجع أساسا إلى نقص جذري في بنائها النظري أي في التصور العام للمنطق، و لا تستطيع العلوم الجزئية إكمال هذا النقص إلا بإرجاع أسسها النظرية إلى الميتافيزيقا و المعرفة، أي إلى المنطق الخالص ، فالمنطق في الحقيقة هو المعرفة نفسها . المنطق إذن علم نظري قبل أن يكون علما معياريا ، وظيفته وضع القواعد، و قبل أن يكون علما عمليا وظيفته تطبيق هذه القواعد في العلوم الجزئية(حنفي ، 1990. ص 254).

### 2.3 أزمة العلوم الانسانية: ظل المثل الأعلى للمنهج العلمي حتى أواخر القرن التاسع

عشر هو منهج العلوم الطبيعية الذي يعد بالفعل أهم مكاسب الحضارة الأوروبية منذ عصر النهضة ، و الذي أصبح نموذجا لكل فكر يريد أن يصير علما ، ما مكثها من التخلص من وجهات النظر الميتافيزيقية التي كانت سائدة من قبل، ما دفع الباحثين في العلوم الإنسانية بمختلف فروعها من علم النفس، الاجتماع، الأخلاق ، وغيرها لتبني هذا المنهج ، بغية تحقيق نفس النتائج التي شهدتها العلوم الوضعية.

وفيما يخص العلوم الإنسانية، فإن أزمتهما اشد ومشكلتها أعمق، في نظر هوسرل، خصوصا بعد أن اعتنقت المنهج التجريبي الجامد، الذي حوّل الإنسان من ذاتيته الحية المتميزة إلى وضعية مادية يتشابه فيها مع الظواهر الطبيعية الأخرى، رغم الاختلاف الجوهرى القائم، ما اعتبره هوسرل من اكبر الأخطاء التي وقعت فيها العلوم الإنسانية في عصره لان الجوهر الحقيقي للإنسان أصبح يستمد من خارجه و ينبع من الظروف المادية المحيطة به، دون أن

يعطى أي اعتبار لذاتيته الداخلية أو شعوره الحي، ويمكن اختزال الاختلافات التي تميز العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية في أن:

\_ الظاهرة الإنسانية كيف و الظاهرة الطبيعية كم .

\_ الظاهرة الإنسانية يصعب قياسها في حين ان الظاهرة الطبيعية يمكن قياسها.

\_ إذا كانت الظاهرة الطبيعية موضوع فالظاهرة الإنسانية اقرب إلى الذات ، فالإنسان ذات وليس موضوع

\_ الظاهرة الإنسانية تتميز بحرية فيما لا يمكن التنبؤ بمجراها و وقوعها أو بإشكالها المستقبلية عكس الظاهرة الطبيعية التي يمكن التنبؤ بمجراها ووقوعها إذا علمنا قانونها وسيطرنا عليها .

وفي هذا السبيل رفض هوسرل استخدام المنهج التجريبي لأنه محدود بإدراك الوقائع المادية الجزئية المتغيرة ، ولا يصلح لإدراك الماهيات العقلية الكلية الثابتة، أما المنهج الرياضي بالرغم من خصوصته ودقة نتائجه و توافق طبيعته مع العلوم الرياضية الماهوية، إلا أنه لا يصلح كله تماما لاستخدامه كمنهج أساسي في العلم الجديد الذي يستهدف إدراك الماهيات من خلال التجربة المتعالية ، و السبب في ذلك أن هذا المنهج الرياضي يرتد في جوهره إلى بضع بديهيات قليلة وعدة مصادر محدودة تكون هي أساس الاستنباط ، بينما التجربة المتعالية تمثل مصدرا غنيا لا يملك حيالها المنهج الرياضي أن يفعل شيئا، وهذا الأمر لم يمنع هوسرل من اتخاذ الدقة و التحليلات الرياضية مثلا يحتديه في منهجه الفينومينولوجي الجديد ، الذي شرع في تحديد معالمه وبيان خطواته ، والذي سيتحاشى فيه مساوئ المناهج السابقة و يقتبس مزاياها ، ثم يزيد عليها ما يحقق أهدافه في حدس الماهيات و معايشة التجارب المتعالية وتأسيس العلم الكلي المنشود .

تعود أزمة العلوم في نظر هوسرل إلى فشل الفلسفة في القيام بمهمتها المنوطة بها منذ بداياتها الأولى ، ثم إن تقدم العلم تماشى مع تراجع الفلسفة وانغلاقها على ذاتها، وأساس أزمة الفلسفة يعود إلى انقساماتها الملحوظة، ففي الزمان الحاضر نجد أن " الفلسفة الغربية من وجهة نظر الوحدة العلمية تعيش حالة من التدهور في مقابل العصور الماضية منذ منتصف القرن الأخير " ( Husserl ,1996, pp 21-23) فضاعت الحقيقة الفلسفية والدور الحضاري والتاريخي الذي تلعبه والذي لا يمكن لأي علم آخر أن يقوم به.



مما سبق يذهب هوسرل إلى أن السبب الرئيسي للأزمة التي تعيشها أوروبا، يرجع أساسا إلى تطورات العلوم الوضعية و مناهجها و مسؤوليتها أمام فقدان سؤال المعنى الإنساني ، ذلك أن أزمة العلوم تتجلى بوضوح في الإقصاء الوضعي للأسئلة الحاسمة بالنسبة للوجود الإنساني ، إذ لا يمكن للعلم الطبيعي طرح مثل هذه الأسئلة بما أنه يقوم على اللامبالاة بكل ما هو ذاتي ، في حين أننا نجد أن علوم الإنسان هي التي يخول لها الاهتمام بالوجود الروحي للإنسان عبر تاريخه ، وهي تتطلب نوعا من الميول إلى أحكام القيمة التي تتعارض مع علمية العلم الوضعي الصارمة بموجب عدم الاهتمام أصلا بأسئلة الإنسان ، ف"العلم الذي يدرس الأجسام الخالصة ليس له ما يقوله عما هو ذاتي" ( Husserl ,1996, pp 10-11 ) ، ما يجعل العلوم الحديثة قاصرة عن مساعد الإنسان في إعطاء معنى لوجوده و فعله و توجيه حياته الفكرية و العلمية ، و هنا لا يمكن الإنكار بان هذا النمط من العلم يعدم الأفق الروحي و التاريخي للإنسان على حد سواء .

ويرى هوسرل أن الابتعاد عن هذا المنحى والغاية الكلية للوجود الإنساني تعود بالدرجة الأولى لإتساع دائرة الفهم الميكانيكي للعالم المستند إلى الترييض ، والذي سيقود في الوقت نفسه، إلى إبداع منهج جديد وفرضه على مجالات المعرفة كلها (هوسرل، 2008، ص474) ويتجلى ذلك، بصورة واضحة ، في علم الطبيعة الحديث، الذي استطاع ، تبعًا لسيادة النزعة الطبيعية والتأويل الموضوعي عليه ، أن يبحث في الطبيعة فوق الذاتية الموضوعية في عناصرها وقوانينها اللامشروطة (هوسرل، 2008، ص519) وأصبح هدف علم الطبيعة الحديث، بسبب تشبثه بالأنموذج الرياضي، بلوغ القانونية العامة التي تحكم المعطيات، هذا ما جعله يبحث في عالم ميكانيكي مغلق؛ فعلم الطبيعة الحديث لا يدرس إلا ما هو طبيعي (هوسرل، 2008، ص520) ، وهو بذلك يقصي كل ما له طابع ذاتي من دائرة اهتمامه.

#### 4. المنهج الفينومينولوجي كحل لأزمة العلوم الأوروبية

استشعر هوسرل الأزمة التي تمر بها العلوم في عصره، ذلك لأنها لم تتمكن من الوصول إلى حقائق كلية يقينية بل كانت نتائجها جزئية و نسبية تفتقر إلى الكمال و تدعو إلى الشك، كما لاحظ أيضا حينها تلك الهوة التي تتسع بين نتائج العلم و الفلسفة أين نجد الفلسفة الأوروبية و العلوم المنتشرة آنذاك متناقضة و مختلفة عن بعضها البعض ، هذا ما دفع هوسرل إلى محاولة وضع أسس يقينية مطلقة لعلم

كلي كفيل بإصلاح العلوم والفلسفة للقضاء على تلك الأزمة وهذا هو هدف الفينومينولوجيا عنده ، إن مشروع هوسرل يتمثل في الإصلاح التام" للفلسفة لكي تصبح علما دقيقا قائما على أسس مطلقة كان يستلزم في الوقت نفسه إصلاحا موازيا لجميع العلوم ( هوسرل ، ص 101) .

يذهب هوسرل إلى التأكيد أن أساس أزمة العلوم هو أزمة الفهم الذاتي للإنسان (هوسرل، 2008، ص 478) الذي يريد الإحاطة نسقياً بالمشاكل الأخريرة والعليا للعالم والوجود البشري. وعلى مشارف هاتين الأزميتين بدأت الفينومينولوجيا في البحث عن منهج خاص للعلوم الإنسانية يحفظ نوعية الظاهرة ويميزها عن الظاهرة الطبيعية والرياضية ، بالتالي يشق هوسرل طريقا ثالثا هو الفينومينولوجيا ، الذي بإمكانه إصلاح علوم عصره كعلم يقيني جديد.

تعتبر الفينومينولوجيا علما بالنسبة إلى هوسرل ، لأنه أراد أن تتشبه الفلسفة بالعلم من حيث الموضوعية فقط ، و أن تقدم معرفة كلية منظمة وقائمة على مبادئ يقينية ثابتة ومنهج خصب واضح (رافع ، 2007 . ص 29).

إن موضوع الفينومينولوجيا كعلم كلي جديد مختلف تماما ، فهو يمتاز بالحيوية والانفتاح والقدرة على الوصول إلى اليقين ، هذا الموضوع هو الذاتية المتعالية بشتى تجارها الخصبة التي ستؤدي إلى إيضاح أصل التناقضات القائمة في العصر الحديث بين الموضوعية الطبيعية والذاتية المتعالية ، وبهذا يرد هوسرل كل علوم الواقع إلى علوم الماهية ، وهذه بدورها يرتد بها إلى الأنا الخالص ، حيث تظهر ماهيتها الحقيقية في مجال الذاتية المتعالية .

لقد أخذت الفينومينولوجيا عند هوسرل سنين من البحث الجاد والعمل المتواصل ، ولم يكتف بوضعها كعلم أو أفكار فلسفة كلية كما كانت عليه في الجزئين الأولين من "الأفكار" ، بل كان لابد لها من منهج تقوم عليه، و في هذا المسعى اقتدى هوسرل بديكارت صاحب الكتاب المشهور في التأملات في المنهج، فكتب على غراره كتابه " تأملات ديكارتية " ، وكان الأساس الأول الذي اتبعه هوسرل هو " مذهب جذرية نقطة البدء " (Husserl, 1996, p 6) ، أين نهتم في البحث عن نقطة بدء خاصة شرط أن تكون جذرية أي أن تكون الأساس الأول الذي لا يوجد مبدأ قبله ، و الأول على الإطلاق أين لا يمكن لأي شيء أن يسبقه.

ينطلق هوسرل في بناء "الفكرة – الغاية" لتأسيس علم أصيل ، بإتباع الخطوات التالية - إلا أنه يجدر بنا قبل أن ننوه هنا أن هوسرل لم يشر في أي من مؤلفاته أنه يجب إتباع ترتيب الخطوات كما سيرد وذلك لأنها من الناحية المنهجية متداخلة حسب الزمن إذ نقوم بها في نفس الوقت للوصول إلى الحقيقة ، لكن من الناحية المنطقية يمكن فصلها:-.

#### 1.4 التعليق الفينومينولوجي: يعتبر التعليق الفينومينولوجي صورة مطورة ومنقحة

مستبعدة لنقائص للشك الديكارتي، أين تعتبر الإيبوخية منهجا كليا قابل للتعامل مع كل المواضيع، قصد تغيير أحكام العالم، إذ أن طموحه كان وعلى وجه التحديد " أن نكشف مجالا علميا جديدا، و الذي نصل إليه بمنهج الوضع بين قوسين هو ذاته، ولكن بعد أن يخضع هذا الأخير لـحصر محدد" (Husserl,1950,p101)، إذ قام هوسرل بحصر مجاله و استعماله في البداية على مواضيع معينة حتى يتمكن من التحكم به و أولها هي الأطروحة المتعلقة بماهية الموقف الطبيعي وكل ما يشتمل عليه في النظام الموجودي ( L'ordre ontique )، إذ يستهدف هذا التعليق تجاوز موقف الإنسان العادي اتجاه العالم الطبيعي والذي يعتبره هوسرل ساذجا لا يملك من الأدلة إلا الحسية منها والتي لا تقبل في ميدان الفلسفة .

بالرغم من التوقف عن إصدار الحكم حول وجود العالم أو عدمه إلا أننا نجده يفرض نفسه علينا فرضا داخليا و بهذا فان الشعور الداخلي للذات هو الوحيد الذي سيبقى بعد التعليق فبالرغم من التعليق فهناك عالم يقابله شعور-وعي – إذ يبقى حاضرا في وعي الذات المدركة مهما حاولنا ذلك أين تمنعه الايبوخية على نحو مطلق عن إصدار أي حكم يرتبط بالوجود المكاني – الزماني .

ثاني ما علقه هوسرل ، العلوم الطبيعية التي تدرس الطبيعة و الواقع ، فبالرغم من متانتها، إلا أنه " يضعها أيضا خارج دائرة العمل و لا يستخدم صلاحياتها مطلقا مهما بدت لنا بديهية " (Husserl,1950,p103) ، و بهذا يضع هوسرل البداهة محل التعليق لأنها متغيرة ونسبية عكس ديكارت الذي اعتمد عليها في منهجه ، و بهذا يكون هوسرل أكثر جذرية في البحث عن الأساس الذي يقيم عليه فلسفته و العلم الكلي .

ثالث ما علقه هوسرل في هذه المرحلة من منهجه ، هو وجود جميع الأنوات ، أي وجود كل الناس ، لأننا ندركهم عن طريق الحس ، ولما كنا قد علقنا جميع العلوم من قبل و رفضنا الحواس كأساس للفلسفة ، و جب علينا تبعا لذلك تعليق وجود الأنوات ، وهذا ما أشار إليه هوسرل في قوله : " ليس هذا العالم بالنسبة إلينا سوى ظاهرة فقط تحمل زعم الوجود ، ويخص ذلك أيضا وجود كل الأنوات الأخرى ، بقدر ما تكون أجزاءا من العالم المحيط "

(Husserl,1996, p16) .

كما علّق هوسرل الحياة الانسانية بكل جوانبها وعلق بعدها وجود الله ، و العلوم الماهوية ، وكذا الأنا الطبيعي / النفساني .

من خلال ما سبق نجد أن التوقف عن إصدار الحكم نوعان في هذا المنهج :

#### 1.1.4 الوضع التاريخي بين قوسين : وهو يتعلق بالأفكار ، أين نغض الطرف عن

سائر النظريات والآراء الصادرة عن الحياة اليومية او عن العلم أو عن ميدان العقائد الدينية ، لان مهمة الفينومينولوجي ليست الانشغال بأراء الآخرين بل التوجه إلى الأشياء في ذاتها .

#### 2.1.4 الوضع الوجودي بين قوسين : ويخص العالم ، ويعني الامتناع عن الأحكام

الوجودية ، ويقوم هذا التعليق على إزاحة الظاهرة المادية جانبا وإخراجها من موضع الاهتمام و عدم التعرض لها أو إصدار الحكم عليها .

وبهذا يعني التعليق أخيرا : قلب النظرة من الخارج إلى الداخل (الشعور) ورفض رؤية

الأشياء في المكان بل رؤيتها في الزمان .

فالرد La réduction بهذا المعنى هو رد الشيء إلى حقيقته بعد أن تراكمت فوقه عبر

التاريخ طبقات وأوجه معنوية مختلفة، لغوية ، ثقافية ، إيديولوجية ليست من صلب ماهية هذا الشيء، و هو بهذا المعنى الرد هو عملية استبعاد لهذه الطبقات واستقصاء لهذه الوجوه بحيث لا تلغي تماما بل تعلق وتوضح فعملية رد الأشياء إلى ماهيتها الايدوسية كما تعطى في عيان أصلي والتعليق هو ذاته الرد إنما في منظور آخر انه رد كل ما ليس من صلب ماهية الشيء عند ماهيته انه الامتناع عن الحكم ( عيساني ، 2007 ، ص ص 50-51 . )

#### 2.4 التأسيس والبناء : بعد المرحلة السلبية من المنهج الهوسرلي ، تأتي مرحلة البناء ،

وهي ما يسميه هوسرل بالقصد ، حيث يظهر الشعور كقصد متبادل بينها مكون من قالب (Noese) ومضمون (Noeme) ، الأول يمثل القالب أو الذات التقليدية في نظرية المعرفة ، أو الأنا أفكر عند ديكارت ، و الثاني يمثل الموضوع او مضمون الشعور ، و لهذا يرى هوسرل أن الشعور هو ذات و موضوع معا .

فأثناء التعليق يصبح العالم مجرد ظاهرة ، و من خلال الرد الفينومينولوجي ننتقل من

المعطى الواقعة ، إلى ظاهرة موجودة داخل الذات ، ولما كان من المستحيل أثناء عملية التعليق أن نعلق الشعور ، فلن يتبق بذلك إلا شيء واحد هو "الأنا الخالصة" ، وهي الشيء الوحيد

المتأكدين من وجوده ، فالحقيقة مرتبطة دائما بالإدراك الداخلي للفرد ، ما يمثل الموقف النقدي اتجاه ظاهرة ما ، فلا يمكننا الحديث عن وجود حقيقي لموضوع ما دون إدراكه ودخوله في الشعور الداخلي ، ما يمنحنا القدرة على التمييز بين الأشياء ودرجات الحقيقة . وعليه فان ما يبقى من التعليق هو الأنا - أنا فلسفي/متعالي - ( تجدر الإشارة هنا إلى الفرق الذي وضعه هوسرل بين الأنا النفساني و الأنا المتعالي المتبقي من التعليق ، وذلك أن الأول حسي و هو جزء من العالم المادي الذي يشمل التعليق ، وهذه هي النقطة التي ينفصل بها هوسرل عن النفسانية كما أشرنا لذلك من قبل) و حياتها الإدراكية و الشعورية التي تفرض نفسها أثناء التعليق وتبقى موجودة لأنها لا تتوقف لحظة فهي طبيعية تلقائية ومن صميم الوجود الإنساني . (وهذا يكون كوجيتو هوسرل أوسع لأنه يثبت الذات و حياتها الإدراكية أيضا ) .

و بهذا فكل وجود مكاني و زماني يصبح موجودا بالنسبة إلي ، و تكون له قيمة بالنسبة إلي ، بمجرد أن اختبره في التجربة و أدركه و أطلق عليه أحكام الوجود والقيمة ، ولا يمكن أن يكون هذا في عالم آخر سوى الذي يجد معناه و صحته في الذات و يستمدهما منها أيضا .

وبهذا تصبح الفينومينولوجيا بمنهج التعليق حسب هوسرل ، المنهج الكلي و الجذري الذي أدرك به ذاتي كأنا خالص وما يصاحبه من حياة الشعور - الوعي الخالص الخاص بي ، وهي الحياة التي يوجد بداخلها ومن خلالها العالم الموضوعي بأكمله بالنسبة الي ، ومثلما يوجد بالنسبة الي بالضبط .

وبهذا يقوم الرد المتعالي بدور أساسي بالارتفاع لمستوى المعرفة الطبيعية الساذجة والعلوم التجريبية المتغيرة، إلى مستوى المعرفة الماهوية والعلوم الصورية فهو يضع بين قوسين لا الوجود فقط بل كل ما لا يقوم أمام الشعور الخالص وحده وبذلك لا يبقى من الموضوع إلا ما هو معطى إلى الشعور الخالص أي الذات الفوقانية LE MOI TRANSCENDANTAL (رافع، 2007 . ص 138) ، وهكذا يتم التوجه من الشعور الداخلي والى فعل الإدراك نفسه،

و بهذا يتم البناء في ثلاث مواضيع بينها هوسرل في كتابه "الافكار" و هي : بناء الطبيعة المادية، ثم بناء الطبيعة الحية ثم بناء عالم الروح .

**3.4 منهج الإيضاح :** إن المنهج الفينومينولوجي ما هو إلا منهج للإيضاح و هو في جوهره منهج للتمييز يقوم أساسا على منع الوقوع في الخلط و التمييز بين المستويات المختلفة إما من

حيث الدرجة أو من حيث النوع، كمثل التمييز بين الظاهرة النفسية و الفيزيقية، أو بين الماهية و الواقعة، الواقعة الطبيعية والشعور ، الواقع و العقل ....

إن مهمة منهج الإيضاح هنا تكمن في إيضاح العلوم الدجماطيقية التي تختلط فيها الغريزة بالحدس ، و التصور الشعبي بالتصور النظري، أو التي تجمع بين الظن و اليقين، وهو موجه أساسا ضد تحيز العلوم التجريبية لطرف واحد دون الأخر .

## 5. خاتمة

إن الهدف من هذه الدراسة هو تبيان الجهود التي قام بها هوسرل في محاولته الارتقاء بالفلسفة لتصير علما كليا نحدد من خلاله حقيقة الوجود دون المساس بإنسانية الإنسان وذاتيته الخاصة ، إذ نلتمس هذا المطلب في المرحلة الثانية من حياته الفلسفية أين بدأ بالبحث عن منهج خاص للفلسفة يمكّنها من بلوغ الهدف الذي تسمو إليه منذ بداياتها ، ويؤكد هوسرل هنا على ضرورة بناء منهج جديد من صلب الفلسفة ذاتها ، والأستمدده من غيرها من العلوم ، إذ يرى هوسرل أن سبب الأزمة التي تعيشها الفلسفة من انقسامات وتفرعات يعود بالأساس الى محاولة أهم مباحثها التقيد بمنهج دخيلة عنها ، كالمنهج التجريبي، في محاولاتها لأن تصير علوما دقيقة على غرار العلوم الطبيعية ، كما يذهب هوسرل إلى التوضيح بأن محاولة دراسة المجالات الإنسانية كعلم النفس والفلسفة والتاريخ ... دراسة موضوعية علمية هو الأساس في الأزمة التي عايشتها أوروبا آن ذاك إذ أنها تعتمد أساسا على العقلانية التي تلغي الجانب الذاتي للإنسان وتقف ندا له.

إن هذه النظرة العلمية الموضوعية في نظر هوسرل قامت بإقصاء أهم الأسئلة المتعلقة بالإنسان والوجود البشري: أسئلة المعنى والغاية، الحرية والتاريخ ، كما أنها في الحقيقة تناست الأساس التي صدرت عنه ونشأت منه ، إذ أن الباحث في تاريخ العلوم لا يمكنه الإنكار بأنها نشأت أساسا من خلال الحاجيات اليومية للإنسان ، أي الحاجات العملية التي ترتبط به مباشرة .

و لا يمكن الخروج من الأزمة في نظر هوسرل إلا عن طريق إعادة ربط العلوم الحديثة بأساسها المنسي، أي " بعالم المعيش " ، هذا ما دفعه إلى وضع المنهج الفينومينولوجي الذي يأخذ على عاتقه مهمة إرجاع أهمية الذات في الصرح المعرفي ، وبأن لها دورا هاما و أساسيا في بناء

المعرفة، وبهذا نجد أن هوسرل ومن خلال منهجه الفينومينولوجي قد ساهم في إعطاء حل كفيلا في نظره بإخراج أوروبا من الأزمة التي تعيشها بسبب التطور التقني والوضعي. يتبين لنا ختاماً مما سبق أن هوسرل قد وضع خطة متماسكة لإخراج أوروبا من الأزمة التي تعيشها انطلاقاً من تأكيده على ضرورة بناء الفلسفة بوصفها علماً دقيقاً باستعمال المنهج الفينومينولوجي الذي يهدف أساساً إلى بناء عقلانية جديدة هي "العقلانية الذاتية أو المتعالية" التي تنطلق من الكوجيتو (الذات أولاً) ثم الرجوع إلى عالم الحياة في أي محاولة لبناء المعرفة (الموضوع ثانياً) مؤكداً أهميته وضرورة عدم تجاهله، كما دعى هوسرل إلى ضرورة بناء فلسفة تاريخ جديدة تثبت وحدة الإنسانية الأوروبية وتاريخها الروحي.

## 6. قائمة المصادر والمراجع:

- بونفكة نادية، فلسفة ادموند هوسرل نظرية الرد الفينومينولوجي، ط2، (2011)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- حنفي حسن، في الفكر الغربي المعاصر، ط4، (1990)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- رافع سماح. الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التحديد الفلسفي المعاصر، (2007)، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- عيساني أحمد، من مناهج النقد الفلسفي، (2007)، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- هوسرل ادموند. أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية. ترجمة اسماعيل المصدق، ط 1، (2008)، بيروت-لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
- هوسرل ادموند. تأملات ديكارتيّة، ترجمة نازلي إسماعيل حسين. مصر، دار المعارف.
- Husserl .E. *Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pure, Tome I. Introduction générale à la phénoménologie pure.* Trad. Paul Ricoeur, (1950), Gallimard, Collection Tel.
- Husserl .E. *L'origine de la géométrie*, tr Derrida ,1er édition,( 1962), paris , coll Essais philosophiques , P.U.F.
- Husserl .E. *Méditations cartésiennes (Introduction à la phénoménologie )* , traduit par :Gabrielle Peiffer et Emmanuel Lévinas ,( 1996 ), paris, librairie philosophique J.Vrin.,
- Ricoeur. p . *Husserl et le sens de l'histoire* ,In : A l'écol de la phénoménologie ,( 1986), Paris ,librairie philosophique J.Vrin